على الحدود

اماه . . .
« ما بك يا بني ..؟ أكنت تحلم ؟.. ما دهاك .. ؟
الليل خيّم في الحقول ونام حتى السامرون
الليل خيم والسكون ؛
نم يا حبيبي فالرفاق ، رفاق دربك نائمون
ما زلت تحلم .. لا تخف .. الكل يا روحي فداك »
اماه .. أغمضُ مقلتي التعبى فترهبني الحدود ،
اماه .. صوت ابي يدوّي في الحدود . .
ومزارعِ الزيتون والحقل المخضب بالدماء ؛
اماه ، يقلقني اليهود ،
اني اراهم يزحفون على الحقول ويرقصون ؛
اماه ، ها هم يرقصون ،
« نم .. يا صغير ..!! ابوك والحقل المخضب بالدماء ..؟
ماذا دهاك ؟.. ابوك ، والجيران حولك ، والجنود ..
بحقول قريتنا الحبيبة يعملون .. ويحرسون ؛
ما زلت تحلم .. لا تخف . . أالله ما اقسى رؤاك ، » !

★

الليل خيم في البيوت الحالمات وفي الحقول ،
والصمت اطبق غير طفل ما يزال ..
سهرانَ ، تُرهبه الطيوف الرابضات على الحدود ؛
اماه .. ها هم يهجمون ! !
الموت .. النيران .. اصوات المدافع يا إله ؛
قصفاً .. وتنهار البيوت ،
قصفاً .. وينقضُّ الجدار على الجدار . ! !
قصفاً .. وتنهمر الدماء ، دماءُ قوم ابرياء ؛
اماه .. يصهرني اللهيب
اني احسُّ ، أحسُّ في صدري اللهيب ؛
« لا يا حبيبي .. لا تخف .. لا شيء يلهب جانحيك ،
ما زلت تحلم .. لا تخف .. واشدُدْ لصدري ساعديك ؛»
اماه .. اين ابي ..؟ رفاقي ..؟ اين حراس الحدود ؟
اماه .. ها هم يَقْدمون ، هم اليهود .. هم اليهود ؛
لا .. لن اموت .. ولن اموت ؛
لن يقتلوني .. لن اموت ؛
اَو ما يزال جنودنا وابي وجاري يحرسون .. ! ! ؟ »

بغداد

محمد جميل شلش

احدهما ، وخرجت من فمي آهة مخنوقة ، وسمعت واحداً يسألني في اذني وأنا منبطح على الارض :

– هل ستتكلم ؟

كان الضرب قد هدأ . رفعت رأسي فوقعت عيناي اول ما وقعتا على عبد الساتر . كان ما يزال في جلسته ، ولكنه كان ملتفتاً نحونا وهو ينظر إلي ولا شك من خلال اجفانه نصف المنطبقة ، فهل كنت سأتكلم لو لم يطلع ذلك الوجه الدامي امامي بعينيه المنطبقتين ، فتمسكان ، على ضعفها ، بهذه النظرة الميتة عزيمة صديق توشك ان تتصدع .

قلت وأنا اتطلع في عيون عبد الساتر :

– انا لا اعرف شيئاً ..

رأيت نفسي واقفاً من جديد ، وقد بدأت اترنح بين اثنين من المردة. وقد بدا لي انني سأموت حقاً . لقد تمنيت الموت في تلك اللحظة ، وما حسبته قط كان بعيداً عني كثيراً وأنا اتطوح على ذلك البلاط البارد اكتم اهات ثور يشخب دمه .

لم يكن الوجع وحده هو الذي احس ، فقد بدأت افقد احساسي به . ولكن ضعفاً لا يوصف كان يتملكني ، فيخيل لي لو انهم سألوني في تلك اللحظة اي سؤال ارادوه ، بانني مجيب حتماً عليه كآلة حاكية لا تملك ذرة من الارادة . ولكنهم كانوا لا يكادون يقفون عن الضرب لحظة كي يسألوني سؤالهم الخالد حتى اقول لا ، او لا اقول شيئاً البتة . ثم نسيت حتى عبد الساتر اذ لم اعد املك القدرة على التذكر نفسه، فقد اجتاحني إعياء اقوى من الكلمات التي كانوا يريدون سماعها . وبدأت الاشياء تعيم في ناظري ، ولكن الماً حاداً في رأسي ومعدتي كان هو الذي يمنعني ولا ريب ان افقد وعيي ، فلو انه اغمي علي في تلك اللحظة، اذن لتخلصت واسترحت . ولكنني كنت واعياً كل شيء ، حتى رأيت شبح رشاد فوق رأسي يقول لهم شيئاً ، ثم رأيت الضابط الى جواره يصرخ به كأنه كان يعنفه لأنهم اشتطوا في تعذيبي حتى لقد سمعت كلمة الموت واضحة في صراخه ، فهل كان ذلك الغريب يخشى ان اموت ولم يخشَ ذلك صديقي القديم ؟

كنت مستلقياً على ظهري اراهم فوقي متجمهرين . وكان الضابط لا يزال يصرخ . وكان رشاد يتطلع إلي وهو يصر على اسنانه كأنهم فوتوا عليه فرصة تعذيب نادرة . آه .. يا صديقي القديم .. لقد خنتك امام سيدك ، فقد كنت تأمل ان لا تكون وحدك في الحمأة امامه ، فوجب ان تشد قدمي الى تحت بعد ان حرمتك ان تضع لي انت الانشوطة في عنقي. في تلك اللحظة شعرت ان الاصوات بدأت تتضاءل ، وانني استريح . فوددت ان التفت كي ارى عبدالساتر مرة اخرى ، ولكنني لم استطع الالتفات .. كانت الاشياء تختلط في دوامة هائلة شرعت تبتلعني .. وشعرت انني ابتعد عنهم .. وابتعد .. وانني ..

شوقي بغدادي

من رابطة الكتاب السوريين